العراق في المدرك الاقليمي الخليجي

م.م. ياسر جعفر حيدر الخفاجي *
كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية
Yasser.jaafar2023@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص:

يمتاز العراق بموقعه الجيوسياسي الاستراتيجي المهم والذي يجعله نقطة جذب لتوجهات دول الجوار الاقليمية وحتى الدولية، أذ شهدت الساحة العراقية الكثير من التصادمات والصراعات الدولية والاقليمية، بسبب التغيرات المتسارعة لمراكز قوى وحدات النظام الدولي، والتي لها مصالح سياسية وأقتصادية في المنطقة، رغبة منها في ترسيخ نفوذها في المنطقة، لاسيما بعد الاحتلال الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣، وتغير النظام السياسي وحتى المعادلة المكوناتية للسلطة، وعلى الرغم من حالة عدم القبول الاقليمية التي صاحبت التغيير في العراق، إلا إننا شهدنا في السنوات الاخيرة توجه بعض الدول الاقليمية والخليجية بشكل خاص لأعادة فتح باب الحوار والبداية بعلاقات دبلوماسية مع العراق، كون الاخير يمتلك مصادر طاقة لايستهان بها أهمها النفط ويعتبر ممر للتجارة الدولية والاقليمية، وهنا تكمن أهمية الدراسة، لان أغلب الدراسات تستهدف الدول الاقليمية والدولية في المدرك العراقي ومدى تأثيرها على السياسة الخارجية العراقية والتي شهدت حالات المد والجزر بسبب توجهات الحكومات المتعاقبة في العراق خاصة بعد ٢٠٠٣، إلا إن دراستنا تسعى لتبيان اهمية العراق للدول الاقليمية والخليجية والتطرق إلى مكامن القوة التي يمتلكها العراق والتي تؤهله للأرتقاء بمستوى أقليمي ودولي يليق بمكانته وحجمه الطبيعي.

الكلمات المفتاحية: العراق، الخليج، المصالح الاقليمية، العلاقات العربية، التقارب الخليجي

Iraq in the Gulf regional perception
Yasser jaafar haider alkhafaji

Abstract:
Iraq distinguished by its important geopolitical strategic location , which makes it an focal point for the regional and even international orientations of neighboring countries. The Iraqi arena has witnessed many international and regional clashes and conflicts, due to the rapid changes in the centers of power within the international system, which have political and economic interests in the region, as they seek to establish their footholds and strengthen their bases there. This was particularly evident after the vacuum created by the U.S. occupation of Iraq in ٢٠٠٣, which altered the political system and even the sectarian power equation. Despite the regional rejection that accompanied the changes in Iraq, in recent years, we have seen some regional and Gulf countries in particular begin to reopen the dialogue and establish diplomatic relations with Iraq, as the latter possesses significant energy resources and is considered a hub

for international and regional trade. This is where the importance of the study lies, as most studies focus on the regional and international countries' perspectives on Iraq and their impact on Iraqi foreign policy, which has witnessed fluctuations due to the orientations of successive governments, especially after ٢٠٠٣، However, our study aims to highlight the significance of Iraq to regional and Gulf countries and explore the sources of strength that Iraq possesses, which qualify it to rise to a regional and international level that .matches its status and natural size

Keywords: Iraq, Gulf,Regional Interests,arab relations, balance of power, Gulf rapprochement

المقدمة:

إن إمتلاك العراق لهذا الحجم من الموارد والموقع الجيوسياسي المهم في منطقة الخليج العربي، يعد عامل قوة ومصدر مهم لرفع مكانته الاقليمية، لاسيما بعد الاحداث التي مر بها العراق آبان الاحتلال الامريكي عام ٢٠٠٣، وبعد مرور أعوام من العلاقات المضطربة بين دول الخليج العربي والعراق، ادركت الدول الاقليمية بأن العراق هو مفتاح الاستقرار لها ولأمنها القومي، لاسيما مع تغير الاستراتيجية الامريكية في منطقة الشرق الاوسط بعد تسارع الاحداث فيه، فأصبحت العلاقات العربية – العراقية تشهد إنفتاحات على مجالات مختلفة، الامر الذي سينعكس على مكانة العراق وحجمه الطبيعي والذي سيمكنه من لعب دور فاعل في المنطقة، ودخوله مرة أخرى لمعادلة توازن القوى فيها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة ، كون العراق يمتلك مصادر طاقة على رأسها النفط، ويعتبر ممر للتجارة الدولية والاقليمية وشهدنا في السنوات الاخيرة توجه بعض الدول الاقليمية والخليجية بشكل خاص لأعادة فتح باب الحوار والبداية بعلاقات دبلوماسية معه.

هدف البحث:

تأتي الدراسة لتبيان أهمية العراق بالنسبة لدول الخلج العربي، وكيف سيترجم التقارب الخليجي مع العراق على مكانته في المنطقة، فضلاً عن تفسير وتحليل الغاية من هذا التقارب.

مشكلة البحث:

تحاول الدراسة التركيز على مكانة العراق في المدراك الاقليمي الخليجي، وتنطلق من تساؤلات عدة أهمها:

- ماهي أهمية موقع العراق الجيوسياسي في المنطقة؟
- مامعادلة توازن القوى في الخليج العربي؟
- ماهي الغاية من تقارب دول الخليجي من العراق وسعيها لأنشاء علاقات جيدة معه؟

فرضية البحث:

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها إن توجهات الدول الاقليمية وحتى الدولية كانت تقتضي بأن تغيب دور العراق في المنطقة منذ إحتلاله، إلأ إن تسارع الاحداث والمتغيرات في النظام الدولي والاقليمي ادت إلى تغيير ذلك التوجه، وتقبل العراق وفتح باب الحوار معه وبناء علاقات دبلوماسية جيدة.

الاطار المنهجي البحث:

ستعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، لدراسة حالة المد والجزر في العلاقات العراقية الخليجية والمكامن المخفية من التقارب الخليجي معه.

المبحث الاول: اهمية العراق الجيوسياسية في المنطقة.

لطالما احتل الموقع الجغرافي أهمية كبيرة لدى الدول لما له من تأثير مباشر على علاقاتها الخارجية أعتماداً على مواردها وطبيعة النظام السائد لها، ومنذ أيام العقد الاجتماعي برزت تلك الاهمية وصاحبت تطور الدول حتى يومنا هذا، أذ تحتل الدول التي تقع على الممرات البحرية أو كونها نقطة ربط بين القارات مكانة كبيرة أقليمية ودولية، لتشابك المصالح والرؤى الاستراتيجية لوحدات النظام الدولي. (احمد ٢٠١٩ ، ٦٧-٨٦)

وتأتي أهمية العراق الجيوسياسية في الشرق الاوسط من موقعه الجغرافي المهم والذي أحتل مكانة بارزة عبر التاريخ كونه معبراً نهرياً وبحرياً وبرياً بين القارات القديمة، الامر الذي جعله متحكم بحركة التبادل التجاري الذي يمر من خلاله وصولاً إلى اوروبا. (الكاظمي ٢٠١٧)

فضلاً عن ماتقدم فأن للعراق أهمية لايستهان بها بالنسبة لدول الجوار القريب لتعدد الطوائف والمذاهب المكونة لفسيفساء النسيج العراقي، والتي تشترك أقليمياً مع الجوار، الامر الذي عزز من مكانته الجيوسياسية في المنطقة،

كل هذه المشتركات أدخلت العراق ضمن أهتمام أصحاب النظريات الاستراتيجية، إذ أنه يقع وفقاً لنظرية القوة البرية لـ(هالفور ماكيندر) ضمن منطقة الهلال الداخلي الذي يحيط بقلب الارض، والذي أثر بشكل كبير على اوضاعه السياسية والاقتصادية، واصبح نقطة جذب دولية حاسمة للنزاعات (كليوي ٢٠١٤ ، ٢٧)

اما نظرية ماهان، فتعتبر العراق دولة برية تمتلك أطلالة بحرية على الخليج والتي ساهمت بأعطائه أهمية الجيوستراتيجية والجيوبوليتيكية ذات تأثير أقليمي مباشر في المنطقة.

أن أمتلاك دولة بهذا الحجم كل هذه المميزات الجيوسياسية والتي فسرت على إنها نقطة أرتطام القوى البحرية والبرية حسب سبايكمان، تجعل أغلب الدول الطامحة بتنفيذ إستراتيجيات الهيمنة على الشرق الاوسط تسعى للوصول لها والسيطرة عليها بطريقة أو بأخرى، وحتى الدول المجاورة ذات المطامع

المحدودة سترغب بترصين علاقاتها معها من اجل الحصول او مشاركة تلك المميزات (مركز الدراسات الاقليمية ٢٠٢١)

اما نظرية الكسندر سفرسكي، فجعلت من العراق منطقة نفوذ جوية امريكية و روسية الامر الذي عده من أهم المناطق الجيوبوليتيكية، وعلى غرار كل النظريات السابقة المفسرة للأهمية الجيوبوليتيكية للدول أحتل العراق مكانة مهمة ومتميزة ضمن نطاق تفسيرها لعوامل التفرد الجيوسياسي والجيواقتصادي، فضلاً عن ذلك كله موارده الغزيرة وعلى رأسها النفط. (الرواي ٢٠١٩) .

ومنذ تأسيس الدول العراقية ١٩٢١ ومحاولاته للتخلص من الانتداب البريطاني وتوالي الحكام القوميين على حكم العراق ولغاية ٢٠٠٣ وأحتلاله من قبل الولايات المتحدة الامريكية، لم يخرج من دائرة الاهتمام بالنسبة للولايات المتحدة ولا حتى حلفاءها في المنطقة،

وعلى الرغم من أن العراق شهد الكثير من الحروب التي قوضت من مكانته ووزنه في المنطقة، إلا أن دول الجوار الاقليمي وحتى الدولي كانت تعلم بأهميته وثقله الكبير فعملت على التقرب منه حتى في أظنك الاحوال، كونه يعتبر كأقصر ممر بري بين أوروبا المصنعة و دول الخليج النفطي عبر تركيا.

ولكون العراق يمتلك اهمية جيو– أقتصادية مضافةً إلى الجيو– سياسية، لم ينئ عن مطامع الدول الكبرى في النظام الدولي، وشغل مكانة متميزة ضمن التفكير الاستراتيجي الامريكي منذ عقود من الزمن، وبعد إدراك الولايات المتحدة الامريكية بأن زعامتها على النظام الدولي لا تكتمل إلا بالسيطرة على موارد العراق والاستفادة من موقعه، اولته إهتماماً خاصاً ضمن إستراتيجياتها في الشرق الاوسط لمضايقة روسيا عدوها الاول في المنطقة.

فضلاً عن توجه الصين إلى الشرق الاوسط وإليائها أهمية بالغة ضمن سياستها الخارجية، وتوجهها للعراق بتحسين علاقاتها كجزء من إستراتيجية الهيمنة الاقتصادية، (الربيعي ٢٠١٨)

على الرغم من كل المميزات المهمة التي تطرقت إليها الدراسة، والتي فسرت العوامل المتفردة للعراق والتي تميزه عن غيره من دول المنطقة، إلا إن مايفسر أهميته على أرض الواقع هو تصارع وتصادم القوى العظمى في النظام الدولي والتسابق من أجل السيطرة على موارده بشتى الطرق، أذ إن فترة الثمانينات شهدت فترة من التقارب العراقي – السوفيتي، الامر الذي أثار حفيظه الولايات المتحدة الامريكية، وعملت على كسر أواصر التقارب للطرفين، وبعد إنهيار الاتحاد السوفيتي عملت الولايات المتحدة الامريكية على تنفيذ مشروعها للشرق الاوسط الجديد والذي كان المبتغى الاساسي له هو الوصول إلى العراق وموارده، ودون الخوض في غمار التاريخ للمراحل التي مر بها العراق عبر التاريخ، ستكرس الدراسة في هذا المحور على الصراعات التي حصلت في المنطقة منذ إحتلال العراق عام ٢٠٠٣، لما لها من أهمية كبيرة لما نعيشه اليوم.

منذ نجاح الولايات المتحدة الامريكية بأحتلال العراق عام ٢٠٠٣، عملت على ضمان بقاء العراق كمعق أستراتيجي لها من التمدد الروسي والصيني في المنطقة، ولتامين أمداد النفط لها ولحلفائها في أوروبا، و لم تكتف بتمركز قواتها في وسط آسيا فقط لضمان سيادتها على العالم وحماية مصالحها، وبناء جدار عازل بينها وبين الصين وروسيا بل بنت جداراً اخر ممتد من أوزبكستان شمالاً حتى العراق جنوباً متمثلاً بقواعدها العسكرية. (العزواي ٢٠٢٠)

إلا إن المطامع لدول الجوار القريب أدخلت هي الاخرى العراق في دوامة الصراع والحروب بالوكالة من أجل كسر الطوق والهيمنة الامريكية، وتسابقت وحدات النظام الاقليمي لملئ الفراغ الذي ولده الأحتلال الامريكي للعراق،

فشهدت الساحة الداخلية العراقية عدم إستقرار سياسي و أمني بسبب ذلك، الامر الذي إنعكس سلباً على مكانته الاقليمية والدولية، فضلاً عن التشظي لوحدة المكونات العراقية بسبب التجاذبات الاقليمية القائمة على الابعاد الطائفية والمكوناتية والمغيبة للهوية العراقوية ولوجود رؤى مختلفة لهوية البلد ، فأدى إلى مفاهيم متباينة لعلاقاته الخارجية والتي تأثرت صلاته السياسية والاجتماعية بالجوار العربي والاقليمي،

ومع تراكم التجارب التي مر بها العراق منذ ٢٠ عاماً ولغاية الآن كانت كفيلة بأن يتوجه صناع القرار للملمة الشمل الداخلي والنهوض بمكانة العراق بترميم الصفوف وترصين الجبهات، وخاصة بعد الانتصار على فلول داعش الارهابية، إذ عملت السياسة الخارجية العراقية على فتح قنوات الحوار واستخدام الدبلوماسية لغزل إستراتيجية جديدة ترفع من مكانته وتليق بحجمه أقليميا ودولياً، وللتخلص من الدوائر الضيقة التي كانت تدور بها منذ السنوات الاولى للاحتلال ولغاية ٢٠١٤،

واستغل صانع القرار السياسي الاهمية التي يحتلها العراق و وظفها من أجل صياغة مسار جديد لسياسته الخارجية بالاعتماد على المصالح المتشابكة لدول الجوار والدول الاوربية ورغبتهم ببقاء العراق ضمن أستراتيجياتهم الاقتصادية والسياسية كل حسب خططه.

أذ أستفاد من التجارب السابقة والعلاقات المتوترة، وتمكن من فتح وتوسيع العلاقات الثنائية مع الامارات العربية وتعزيز التجارة، فضلاً عن التعاون في ملف المناخ والعمل على توطيد الاستقرار الاقليمي، وأستطاع من توقيع مذكرة تفاهم مع المملكة العربية السعودية تعنى بتبادل المعلومات الاستخباراتية والامور الفنية، والتي أعتبرت كأول مذكرة منذ ٤٠ عاماً.

نستخلص مما ذكر إن للعراق مكانة مهمة ضمن النظريات الجيوسياسية، فضلاً عن موقعه المتميز والذي جعله مسيطراً على الممرات التجارية منذ الحضارات القديمة، فضلاً عن موارده الطبيعية والنفط، وتزاحم وحدات النظام الدولي والاقليمي لتأمين مصالحها في المنطقة من خلاله، لضمان وصول وأمداد النفط والبضائع من المصدر إلى المستهلك،

ويجدر القول إن موقع العراق الجيوسياسي الفاصل بين الامبرطورية الفارسية والتركية، مكن الولايات المتحدة الامريكية من جعل العراق نقطة جذب للولايات المتحدة الامريكية للسيطرة عليها ولكسر شوكة التنامي الاقتصادي الايراني في المنطقة خاصة بعد الثورة الايرانية عام ١٩٧٩، والتي جاءت كعامل مؤثر على موقع الولايات المتحدة الامريكية في الخليج العربي، والذي كان ولا زال يمثل عمقاً أستراتيجياً للمصالح الامريكية ومنطقة نفوذ لايسمح لأي وحدة من وحدات النظام الدولي بالتدخل بها.

إذ إستفادت الولايات المتحدة الامريكية من الصراع الايراني العراقي الذي دام لأكثر من ٨ سنوات، وتلاها دخول العراق على الكويت من توظيف الازمات في المنطقة لفرض وصايتها على دول الخليج العربي، بحجة حمايتها لمصالحها وإمن أسرائيل، ولضمان تأمين العمق الاستراتيجي الخليجي بالتخلص من حالات المد والجزر بوجود العراق ضمن معادلة توازن القوى القائمة في الشرق الاوسط وأيران ضمن سياسة العمودان المتضادان. (الجبوري ٢٠١٠)

المبحث الثاني: توازن القوى في الخليج العربي والمصالح المشتركة.

إنطلاقاً من إختلاف العلماء والباحثين لتعريف توازن القوى، فقد عده البعض منهم سلوكاً من جانب دول معينة ضمن إطار التعامل فيما بينهم، بينما الاخر يعتبره نظام في العلاقات الدولية، إذ أن توازن القوى كسلوك يراد به تثبيت السياسات الهادفة لتحقيق الاستقرار بين الوحدات المتكافئة في الامكانات والموارد، أما التوازن كنظام فيعني الحالة القائمة بين فاعلين أو أكثر، نمط من التحالفات ونظيرتها المضادة لغرض فرض حالة الردع، لذلك يمكن تعريف توازن القوى كالحالة التي تتساوى بها أو تتكافأ بها القدرات الذاتية لوحدة ضمن النظام الدولي مقابل الاخرى، أو محور مقابل محوره المضاد لتحقيق الردع. (عبد الله ٢٠١٩)

وقد لازمت فكرة توازن القوى كحقيقة للعلاقات الدولية منذ الآزل، إذ إنها تعتبر سياسة قديمة وحديثة في آن واحد، وذلك لتعامل القوى الدولية قديماً بها كسياسة (أثينا وسبارطة) ، وتطور مفهومها مع تطور الدول والنظام الدولي إذ إنتقلت من سياسة تسير وفقها الدول إلى مبدأ له أنظمته وقوانينه وصولاً إلى ويستفاليا ١٦٤٨م، (العريني ٢٠٢١ ، ٣٤)

وبما إن الفكرة الرئيسية من توازن القوى في العلاقات الدولية هو الردع، لحفظ الامن القومي للدول، فمنذ خمسينيات القرن الماضي تكتلت دول العالم بتحالفات، مشكلة لمعسكرين رئيسيين (رأسمالي و شيوعي) وسار النظام الدولي على نهج ثنائي القطبية، الامر الذي أجبر أغلب الوحدات الدولية بتحديد توجهها حسب مصالحها القومية ونظامها الحاكم،

فتأثر الشرق الاوسط بتكتلات النظام الدولي في ظل القطبية الثنائية، إذ بعدما كانت روسيا القيصرية تدافع عن حقوق الارثدوكس في المنطقة أثناء الحكم العثماني وتزامن ذلك مع أحتفاظ الولايات المتحدة

الامريكية بمبدأ مونرو (Monroe)، الامر الذي ساعد السوفيت بالتغلغل في الشرق الاوسط بطريقة ملحوظة (الزيات ٢٠١٨) ، ومن دون سرد مجريات التأريخ التي تذهب بالدراسة بعيداً عن هدفها المقصود ستتركز الدراسة في هذا المحور على التنافس الدولي في الشرق الاوسط والذي أثر على موازين القوى بشكل كبير ولغاية يومنا هذا،

منذ الحرب العالمية الثانية تحول الشرق الاوسط لمنطقة نفوذ للقوى الاستعمارية كون المنطقة كانت تمثل معبراً أستراتيجياً لعمليات نقل قوات الحلفاء لدعم الحليف السوفيتي عسكرياً ضد الزحف النازي، الامر الذي جعلها ضمن مناطق المصالح للدول الاستعمارية، وبعد إنتهائها شهدت الساحة تغيراً في الموازين التي كانت قائمة، إذ بعدما كانت أمريكا منطوية على نفسها في الحرب العالمية الاولى، تغيرت إستراتيجيتها بسبب الاطماع التوسعية والموارد المكتشفة وللحد من التوسع السوفيتي بشكل خاص، برزت أهميته الجيوستراتيجية آبان الحرب العالمية الثانية، كون المنطقة كانت تمثل معبراً أستراتيجياً لعمليات نقل قوات الحلفاء لدعم الحليف السوفيتي عسكرياً ضد الزحف النازي، الامر الذي جعلها ضمن مناطق المصالح للدول الاستعمارية،

لتصبح المنطقة حلبة لتسوية الصراعات والحرب بالوكالة، إذ إنحسر التواجد الاوروبي وبروز قوتين (الولايات المتحدة الامريكية ، الاتحاد السوفيتي)، وظهر مفهوم الحرب الباردة الذي جر الدول العربية والخليجية إلى صراع بالوكالة عن تلك القوى (الغنام ٢٠٢٠)

وعملت أمريكا على ملئ الفراغ الاستراتيجي الناتج عن غياب القوة الاوربية لحساب السوفيت، تنفيذاً لمبدأ ترومان والمتمثل بربط أوروبا بالولايات المتحدة الامريكية والمحافظة على أمن أسرائيل، فسعت الولايات المتحدة الامريكية إلى إدخال المنطقة ضمن مناطق نفوذها الاستراتيجي، من خلال توظيف أقاليمها الحيوية تجاه مصلحتها القومية، وغدت المنطقة جزء من الامن القومي الامريكي، فضلاً عن تقديم الدعم العسكري لدعم أيران والسعودية وبالمقابل دعم الاتحاد السوفيتي العراق، الامر الذي ربط منطقة الخليج العربي بتوازن القوى، إذ إن مساعي الولايات المتحدة الامريكية لفرض تفردها على القرار السياسي كان يقابل بجهود سوفيتية لمعادلة تلك المساعي، (الحريري ٢٠٢٣)

ونتيجة لموقف السوفيت الموالي لقيام دولة في فلسطين (الكيان الصهيوني) تراجعت علاقاتها بالدول العربية، الامر الذي مكن الولايات المتحدة الامريكية من توظيف الموقف لصالحها، من خلال تقديم الدعم العسكري والتنموي للدول التي تحاول مواجهة الاتحاد السوفيتي، ونتيجة لذلك أصبحت المنطقة تعيش على صفيح من نار، خاصة بعد إنقلاب عبد الكريم قاسم في العراق وسعي أمريكا لأحباطه إلا إن إعتراف السوفيت مكن من نجاحه لتدخل العلاقات العراقية – الامريكية بمرحلة من الشد والجذ بسبب توجهات الحكم السائد فيه.

ليتعبر العراق ضمن الدول الموالية للأتحاد السوفيتي وبهذا يعني إعلانه للعداء مع الولايات المتحدة، الامر الذي مكن الاخيرة من توظيف قواها وحلفائها في المنطقة لمواجهته،

وبدا ذلك جلياً مع دخول القوات العراقية للكويت وإحتلاله إذ استطاعت أمريكا من فرض سيطرتها على المنطقة وجعلها تحت الوصاية (غير المعلنة) الامريكية وتزامن ذلك بعد إنهيار الاتحاد السوفيتي وتسيدها على العالم، ليشهد النظام الدولي مرحلة جديدة (مرحلة أحادي القطبية)،

وعليه تغيرت موازين القوى في الشرق الاوسط والخليج العربي، بشكل خاص أذ بعدما كانت الموازين قائمة على العراق وإيران، عملت الولايات المتحدة الامريكية على تنامي الدور الخليجي المتمثل بالمملكة العربية السعودية،على حساب إضعاف العراق وأيران أحدهما للأخر بحرب دامت لثمان سنوات، وتوجت أمركيا خطتها الاستراتيجية القائمة على السيطرة التامة على الشرق الاوسط بعد إحتلالها للعراق عام ٢٠٠٣، (مركز الاهرام للدراسات ٢٠٢٢)

لتشهد بذلك الساحة الاقليمية فراغاً كبيراً في موازينها، إذ عملت أيران على السيطرة على العراق لمواجهة المشروع الامريكي وتغليب عدم الاستقرار، الامر الذي جعل العراق خارج معادلة ميزان القوى في الوقت الذي مُكنِت دول الخليج من التنامي العسكري لمواجهة الصعود الايراني، وأضحت المنطقة تعيش حرباً بالوكالة على الساحة العراقية،

إذ إن سياسة خلق المضادات الامريكية نجحت بتخليق أوضاع سياسية غير مستقرة وشملت دول أقليمية أخرى غير العراق وبعدما أدركت أمريكا أن الصراع على العراق، أدخل المنطقة لصيغة جديدة من الصراع والتي تمثلت بالصراع الايديولوجي، عملت على تحريك الجماعات الاسلامية المضادة للتوجه الايراني لمواجهته في العراق، الامر الذي إنعكس سلباً على مكانة العراق السياسية في المنطقة بأعتباره دولة غير أمنة وتهدد السلم المجتمعي،

فأصبح الخليج العربي بحكامه يمول تلك الجماعات المسلحة، تخوفاً من قوة أيران في المنطقة ولعدم قبولها التعاون مع الحكومة العراقية وذلك لأسباب دينية ومكوناتية مقيتة، وبالمقابل توجهت إيران لمساندة العراق في حربه على الارهاب، فتكللت الجهود العراقية بالإنتصار لتشهد الساحة العربية مرحلة جديدة تفرض قبول العراق أقليمياً خاصة بعد تغير سياسته الخارجية وسعيه نحو تفعيل دوره بفتح أبواب حوار جديدة مع الدول العربية لتعيد بذلك جزءاً من مكانته التي تقهقرت بسبب المصالح الاقليمية والدولية،

حينها إدركت الدول العربية بأن السبيل الوحيد والافضل لها هو فتح باب الحوار والتقرب من العراق، للأستفادة من موقعه الجيوسياسي ولكسر الطوق الايراني، فأستثمر العراق هذا التوجه ومكنه من رسم خطة إستراتيجية هادفة لأعادة مكانته بتوظيف تلك التوجهات وفتح مسارات تعاون جديدة وزيادة في الاستثمار الاجنبي،

وعليه بعد الاحداث المتسارعة التي يشهدها العالم العربي واضمحلال الدور الايراني في المنطقة، يعول إن يعود العراق لمعادلة توازن القوى في الخليج العربي كمنافس جيواقتصادي مستفيداً من توجهات الدول الاقليمية بأنشاء مشاريعها التي تمر عبر أراضيه، الامر الذي سينعكس إيجاباً على مكانته وحجمه في المنطقة.

المبحث الثالث: الظاهر والخفي من التقارب الخليجي العراقي.

أكتنفت العلاقات العراقية – الخليجية تحديات كثيرة، كان قسماً منها يشمل المواقف الخليجة من الواقع السياسي العربي بعد ٢٠٠٣، وعدم تقبلهم من التعاطي مع الحكومات العراقية السابقة بذريعة تقاربها مع أيران، أما القسم الاخر يشمل إتهام العراق لبعض الدول الخليجية بتقديم الدعم للجماعات الارهابية التي عملت على ترسيخ عدم الاستقرار والامن في العراق، فمرت العلاقات بين الطرفين بمسيرة مضطربة أثرت على مكانته في المنطقة، تزامن ذلك مع رفض حكومات الخليج العربي التعاطي والتعاون مع الحكومة العراقية وإتهامها بالتمسك بالنهج الايراني وتقاربها منها، فأخفقت دول الخليج بتبني رؤية واضحة لإيجاد دوراً فاعلاً له في العراق، وكان ذلك تخوفاً منها على مصالحها القومية المتسقة مع مصالح الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة، بخلاف الموقف الايراني البراغماتي والذي وظف التخوف الخليجي لصالحه والتقرب من العراق لتشكل بتلك المرحلة الجبهة الساندة والرصينة بحربه ضد الجماعات المسلحة، الامر الذي قوض من الدول الخليجي في العراق، (الخوري ٢٠١٩)

ومع إنسحاب القوات الامريكية من العراق ٢٠١١، تأثرت العلاقات الخليجية – العراقية على حساب تناميها مع أيران، لتشهد نفوذا أيرانيا واسعاً، خاصة بعد المواقف الخليجية ضد الاحتجاجات الداخلية والمظاهرات التي شهدتها المنطقة منذ الربيع العربي، للتصاعد الخلافات بين الطرفين لمستوى عالي، وبدا ذلك جلياً بالقمة العربية التي أحتضنها العراق ٢٠١٢، إذ حضر أمير الكويت الراحل الشيخ صباح الاحمد الصباح فقط من القادة الخليجيين، وأقتصر تمثيلهم بالسفراء والوزراء،

وبعد عام ٢٠١٤، ومع وصول السيد حيدر العبادي لسدة الحكم، أصبحت هنالك إنفراجة بالعلاقات مع الخليج العربي، وذلك من خلال فتح باب الحوار للتقارب، وطي مرحلة النزاعات من خلال تصدير العراق لسياسة التوازن والحياد في المنطقة ومحاولة لعب دور يليق بمكانته الكبيرة،

وجوبهت تلك التوجهات بمباركة خليجية، خاصة بعد إدراكهم بان العبادي أقل تمسكاً بالمشروع الايراني، وعليه وجه العاهل السعودي الملك عبدالله بن عبد العزيز برقية تهنئة ودعوة لزيارة المملكة، لتشهد العلاقات العراقية – السعودية تحولاً جديداً بمسارها الذي دام لاكثر من ٢٠ سنة، وتكللت زيارة رئيس الوزراء العبادي للمملكة بلقاء كبار المسؤولين وفتح السفارة السعودية في بغداد وتعيين سفير غير مقيم فيها.

لكن حتى مع الانفراجة التي حصلت بين الطرفين، لم يتغير الدور الخليجي في العراق وإستمر بضعفه وتأثره، خاصة بعد إندلاع الازمة الخليجية، لتصبح دول الخليج العربي مقسمة إلى ثلاثة محاور، فترأست المملكة العربية السعودية والبحرين والامارات المحور الاول، بينما قطر مثلت الثاني، والكويت وعمان أتخذت الحياد بتمسكها بالمحور الثالث، (المنصوري ٢٠٢٠)

وبعد الاتهامات الموجهة من قبل السعودية وحلفائها لدولة قطر بدعمها لأيران وتركيا ضد المصالح الخليجية في المنطقة، إشتدت الازمة لتصبح المنطقة الخليجية على شفير الهاوية، وأضحت الدول متكتلة فيما بينها خدمة لمصالحها القومية،

فحاولت المملكة العربية السعودية من الاستفادة من توجهات العراق الجديدة وإستمالته ضد قطر، إلا إن سياسة العراق الحيادية كانت كافية ومنقذة له، إذ احتفظ العراق بعلاقاته السليمة مع أيران ودول الخليج الامر الذي أصبح كواعز لكلا الطرفين بزيادة التقارب مع العراق على حساب الاخر.

إستفاد العراق من التغيرات الاقليمية المتسارعة والمتسقة مع التغيرات في توجهات النظام الدولي بشكل عام، والتي كانت قائمة على عدم تمكين العراق في المنطقة وإضعافه للنيل منه بشتى الطرق، أضحت الدول العربية على بعد آميال من مصلحة العراق، إلا إن المواقف الايرانية تجاه العراق، أوعزت لدول الخليج بأن توجهاتها السابقة كانت خاطئة، وإن غياب دورها الفاعل في العراق لم يكن بسبب توجهات الحكومات السابقة ، بل نتيجة لمواقفها السياسية إزاء العراق،

فعملت على تغيير إستراتيجيتها مع العراق، محاولةً من خلالها التقارب معه لترصين علاقاتها والاستفادة من الاستثمارات الاجنبية، فضلاً عن الهدف الاسمى لها هو كسر الهيمنة الايرانية في المنطقة، وتقليل نفوذها، الامر الذي يتوافق مع المصلحة الدولية في منطقة الخليج العربي.

وتوجهت كل من المملكة العربية السعودية والامارات لترسيخ مبدأ الاستقرار الاقليمي والتعاون التجاري والاستخباراتي والفني لمواجهة النفوذ الاقليمي المنافس، فضلاً عن دولة الكويت التي لطالما أرادت ان تأخذ دورها لتحديد المدركات الخليجية تجاه العراق والتأثير بالملفات العالقة بين الطرفين (ملف الاسرى، الحدود، التعويضات).

الخاتمة:

سيتقى معادلة توازن القوى في الخليج العربي غير واضحة المعالم على الرغم من التغيرات الكبيرة والسريعة في المنطقة، وتأتي كل المساعي العربية لاعادة العلاقات مع العراق بسياق تنفيذ أستراتيجي جديد لرسم مسار أستراتيجي قائم على المصالح القومية لتلك الدول، وعليه يجب على العراق الاستفادة من تلك التوجهات والالتزام بسياسة الحياد وعدم الانجرار نحو محور معين على حساب الاخر، الامر الذي سيمكن العراق الاستفادة من موقعه الجغرافي وامكانياته الجيوأقتصادية لتدعيم موقفه في المنقطة

وإرجاع مكانته وحجمه الذي يليق به، وبما إن الساحة الاقليمية قبل طوفان الاقصى كانت تتجه نحو التنافس الجيواقتصادي وسعي أغلب الدول للأستفادة من إمكانياتها الموجودة لديها من أجل الدخول في التنافس، سيتحتم على العراق التفكير ملياً بتلك المساعي لتوظيفها من أجل مصالحه القومية ايضاً.

وعليه يمكننا الاستنتاج مما تقدم:

١- إن عدم التقارب الخليجي – العراقي كان نتيجة لسياسات دول الخليج تجاه العراق.

٢- فسر الدعم الايراني للعراق على إنه تقارباً وإستمراراً لمشروع ايران التوسعي في المنطقة.

٣- تغير توجهات الدول الكبرى في المنطقة، أدى إلى تغير توجه الدول العربية، وسعيها للتقارب مع العراق من اجل الاستفادة من موقعه الجغرافي، والاستثمار،

٤- يأتي التقارب الخليجي كنقطة بداية لأضعاف الدور الايراني في الخليجي العربي، وتقليص نفوذه.

المصادر باللغة العربية :

١- أحمد ، خليل . ٢٠١٩ . "دور الموقع الجغرافي في تشكيل السياسة الخارجية للدول". *مجلة الدراسات الدولية*. العدد ٤٥ .

٢- الكاظمي ، حسن . ٢٠١٧. "العراق ودوره الجيوسياسي في الشرق الأوسط". *مجلة الدراسات الاستراتيجية*. العدد ٢٢ .

٣- كليوي، لطيف كامل . ٢٠١٤. تحليل جعرافي سياسي للسياسة الخارجية العراقية حيال تركيا وايران. اطروحة دكتوراه غير منشورة. كلية الاداب- جامعة البصرة .

٤- مركز الدراسات الإقليمية. ٢٠٢١. العراق: جيوسياسية الموقع وأثره على الصراعات الإقليمية. بغداد: مركز الدراسات الإقليمية.

٥- الراوي، محمد. ٢٠١٩. "أهمية الموقع الجغرافي للعراق في التجارة الدولية عبر التاريخ". *مجلة التاريخ العربي*. العدد ١٥ .

٦- الربيعي، ظاهر عبدالله و احمد حسن الحسناوي . ٢٠١٨. " أهمية موقع العراق الجغرافي بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية" . *مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية*. جامعة ذي قار. العدد ٤ .

٧- العزاوي، أحمد . ٢٠٢٠ . "العراق كمعبر تجاري بين الشرق والغرب: دراسة تاريخية وجيوسياسية". *مجلة البحوث الجغرافية*. العدد ٨ .

٨- الجبوري، خالد.٢٠١٠ . *العراق: جيوسياسية المكان والصراع الدولي*. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

٩- عبد الله، محمد.٢٠١٩. *النظام الدولي وتوازن القوى: من ويستفاليا إلى القرن الحادي والعشرين*. دمشق: دار الفكر المعاصر.

١٠- العريني، سامي. ٢٠٢١. "توازن القوى والصراعات الإقليمية: دراسة حالة الشرق الأوسط". *مجلة الدراسات الإستراتيجية*. العدد ٣٥.
١١- الزيات، أحمد.٢٠١٨. *النظرية في العلاقات الدولية: المفاهيم والتحولات*. بيروت: دار النهضة العربية.
١٢- الغنام، خالد.٢٠٢٠. "توازن القوى في النظام الدولي: بين النظرية والتطبيق". *مجلة السياسة الدولية*. العدد ٢١٠ .
١٣- الحريري، جاسم يونس. ٢٠٢٣. *مكانة العراق الاقليمية وتأثيرها على أمن الخليج العرابي بعد ٢٠٠٣* . بغداد: مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية.
١٤- مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية.٢٠٢٢. توازن القوى في الشرق الأوسط: التحديات والفرص. القاهرة: مركز الأهرام.
١٥- الخوري، ليلى.٢٠١٩. "توازن القوى كأداة للاستقرار الدولي". *مجلة العلوم السياسية*. العدد ١٨ .
١٦- المنصوري، خالد.٢٠٢٠. "دور العراق في الأزمة الخليجية: بين الحياد والوساطة". *مجلة السياسة الدولية*. العدد ٤٨ .

المصادر باللغة لانكليزية :

1. Abdullah, Muhammad.2019. The International Order and the Balance of Power: From Westphalia to the Twenty-first Century. Damascus: Dar Al-Fikr Al-Maasir.
2. Al-Ahram Center for Political and Strategic Studies.2022. The Balance of Power in the Middle East: Challenges and Opportunities. Cairo: Al-Ahram Center.
3. Al-Arini, Sami.2021. "Balance of Power and Regional Conflicts: A Case Study of the Middle East". Journal of Strategic Studies, Issue 35 .
4. Al-Azzawi, Ahmed.2020. "Iraq as a Trade Crossing between East and West: A Historical and Geopolitical Study". Journal of Geographical Research, Issue 8 .
5. Al-Ghannam, Khaled.2020. "The Balance of Power in the International System: Between Theory and Practice". Journal of International Politics, No. 210 .
6. Al-Jubouri, Khaled.2010. Iraq: Geopolitics of Place and International Conflict. Beirut: Arab Center for Research and Policy Studies.

7. Al-Kazemi, Hassan.2017. "Iraq and its Geopolitical Role in the Middle East". Journal of Strategic Studies, No. 22.
8. Al-Mansouri, Khaled.2020. "Iraq's Role in the Gulf Crisis: Between Neutrality and Mediation". Journal of International Politics, No. 48 .
9. Al-Rawii, Muhammad.2019. "The Importance of Iraq's Geographical Location in International Trade throughout History". Journal of Arab History, No. 15 .
10. Al-Rubaie, Zahir Abdullah,2018. Al-Hasnawi, Ahmed Hassan." The importance of Iraq's geographical location for the United States of America. "Journal of the College of Education for Human Sciences", University of Thi-Qar, No. 4 .
11. Center for Regional Studies.2021. Iraq: Geopolitics and its impact on regional conflicts. Baghdad: Center for Regional Studies.
12. El Khoury, Layla.2019. "The balance of power as a tool for international stability". Journal of Political Science, No. 18 .
13. Hariri, Jassim Younis.2023. Iraq's Regional Status and its Impact on the Security of the Arab Gulf after 2003, Hammurabi Center for Research and Strategic Studies.
14. Khalil, Ahmed.2019. "The Role of Geographical Location in Shaping the Foreign Policy of States". Journal of International Studies, No. 45 .
15. Kilewey, Latif Kamel.2014. "A Jaarafi Political Analysis of Iraq's Foreign Policy Towards Turkey and Iran." Unpublished PhD thesis, College of Arts, University of Basra.
16. Zayat, Ahmed.2018. Theory in international relations: concepts and transformations. Beirut: Dar Al-Nahda Al-Arabiya.